التطابق العددي في ركني الجملة الفعلية

بين القاعدة والنص

أ: محمد بلقاضي

جامعة تلمسان

ملخص البحث

ظاهرة "المطابقة" مظهر من مظاهر التجانس في العربية وهي واضحة كلّ الوضوح في التجانس بين المسند والمسند إليه (المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل).

ولعلّ أهم صور التطابق بين أجزاء الجملة الفعلية؛ صورتا: التطابق النوعي والتطابق العددي. ولقد كثرت آراء النحاة وتعددت في هذا الأخير، فذهب جمهور النحاة إلى عدم اشتراطه، فيكون كحالة إذا أسند إلى مفرد. تلك هي القاعدة المطردة في العربية الفصحى، شعرا ونثرا. وعلى هذا النحو، جاءت جمهرة الجمل الفعلية في القرآن الكريم.

إلا انه قد ورد في بعض نصوص الكتاب والسنة وأقوال العرب ما فيه إلحاق لعلامة التثنية والجمع بالفعل، فكيف تعامل معها النحاة؟، وكيف تأولوها؟، وما هو الأولى والأصوب في الجمع بين اختلاف النصوص. هذا ما جاء هذا البحث ليكشف عنه.

Research Summary

The phenomenon of "matching" the manifestation of homogeneity in Arabic and is all too clear in the harmonization of predicate ascribed to it (Debutante and the news, and act and actor).

Perhaps the most important parts of the images overlap between the actual wholesale; two figures: qualitative mismatch and numerical mismatches. We have abounded views of grammarians and numerous in the latter, he went public grammarians to the lack of its requirement, so if a case was assigned to a single. Those are the rule steady in classical Arabic poetry and prose. In this way, the actual population sentences came in the Koran.

However, he has stated in some texts of the Quran and Sunnah and sayings of what the Arabs to inflict a sign of Deuteronomy already combined, so how can deal with it ?, grammarians and how Tooloha ?, and what is the first and more sense to combine different texts. This is what came of this research to reveal him.

توطئة: الجملة نسيج لغوي مستقل، وهي كبرى الوحدات اللغوية وعنصر الكلام الأساسي، والروح التي تقوم بها الجملة هي الإسناد، كما أنه العلاقة النحوية الرابطة بينهما، ويمثل الإسناد بطرفيه البنية النحوية للجملة التي تتكون من وظيفتين نحويتين هما: المبتدأ والخبر في الجملة

الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية وهاتان الوظيفتان النحويتان تقوم بها وحدات صرفية، أي كلمات وهذه الكلمات والارتباطات الصرفية القائمة بينهما تمثل البنية الصرفية، وعليه فالجملة إذن كيان لغوي مزدوج البنية، وترتبط هذه الوحدات في ما بينها بعلاقات صرفية تفرضها خصائص أقسام الكلام التي لا علاقة لها بأجزاء الجملة من مسند إليه أو مسند.

وأبرز هذه العلاقات والارتباطات القائمة بين وحدات البنية الصرفية للجملة هي المطابقة ونجد هذه الأخيرة متمثلة في العدد والنوع والإعراب والتعريف والتنكير والمطابقة في حقيقة أمرها ما هي إلا مماثلة الكلمة التابعة نحويا للكلمة المسيطرة نحويا من ناحية صرفية.

ولدراسة التطابق العددي في الجملة الفعلية قسمت هذا المقال إلى مبحثين:

- **المبحث الأول: المطابقة والجملة الفعلية المفهوم والأنواع**

وهو بدوره مقسم على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم المطابقة مجالها وأنواعها في اللغة العربية

للمطابقة غاية كبيرة في النظام النحوي للجملة العربية، لأنها تحقق الانسجام والترابط بين عناصرها، كما أنها توثق الصلة بين أجزائها، ومن دونها تتفكك العلاقة بين هذه المكونات ويضطرب المعنى. وعلى الرّغم من هذه الأهمية لم تلق المطابقة من النحاة القدامى ما لقيه الإعراب من عناية فاقت كلّ اعتبار[1].

فالمطابقة - كغيرها من عناصر نظام الجملة- نوقشت متناثرة هنا وهناك في تراث العربية، باستثناء أبواب نحوية معينة ركز فيها "نوع تركيز" الكلام على أوجه المطابقة واحتمالاتها، كما يظهر ذلك مثلا في التوابع والعدد وأفعل التفضيل والإضافة. ومن الطريف حقا أن تكون معظم الأخطاء التي يقع فيها الطلاب في هذا المجال مما تنتمي أمثلته إلى هذه الأبواب[2].

لذا اختص بحثي هذا بدراسة المطابقة ومجالاتها، ولدراسة هذه الظاهرة لابدّ من تحديد ماهيتها من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

- **أولا: مفهوم المطابقة:**

أ) لغة:

قال ابن فارس: "(طبق) الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدلّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، من ذلك الطبق تقول: أطبقت الشيء على الشيء. فالأول طبق للثاني: وقد تطابقا، ومن هذا قولهم: أطبق الناس على كذا، كأنّ أقوالهم تساوت حتى لو صيّر أحدهما طبقا للآخر لصلح.

وطابقت بين الشيئين، إذا جعلتهما على حذو واحد. ولذلك سمّي ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقا، وذلك مثل جرجر، وصلصل، وصعصع"[3].

و(المطابقة) الموافقة و(التطابق) الاتفاق. و(طابق) بين الشيئين جعلهما على حذو واحد وألزقهما. وأطبقوا على الأمر أي اتفقوا عليه. و(أطبق) الشيء غطاه وجعله (مطبقا فتطبق)[4]

وجاء في اللسان: « تطابق الشيئان تساويا... وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقهُ وطابقهُ وطبقهُ ومُطبقهُ وقالبه، بمعنى واحد»[5].

فمفهوم المطابقة في اللغة العربية يأخذ معنيين: الموافقة، والتماثل والتساوي. كما هو مستفاد مما تقدم.

ب) اصطلاحا

يستعمل النحاة مصطلح المطابقة للتعبير عن خصائص الانسجام والتآلف والتوافق بين العناصر اللغوية في الجملة العربية ونجد أنّ هناك علاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الذي نقل إليه اللفظ.

ومما وردت الإشارة فيه إلى مفهوم المطابقة قول سيبويه: « واعلم أنّ المعرفة لا توصف إلا بمعرفة، كما أنّ النكرة لا توصف إلا نكرة»[6].

ويقول في باب الابتداء: « واعلم أنّ المبتدأ لابدّ له من أن يكون المبنيّ عليه شيئا هو هو»[7].

كما نجده يعبّر عن معنى المطابقة والمخالفة بقوله: « فقد يوافق الشيءُ الشيءَ ثم يخالفه لأنه ليس مثله»[8].

وقد استعمل ابن عقيل مصطلح المطابقة في شرحه لألفية ابن مالك، فقال في باب المبتدأ والخبر: "الوصف مع الفاعل: إما أن يتطابقا إفرادا أو تثنية أو جمعا، أو لا يتطابقا"[9].

وذكر ابن السراج: هذه توابع الأسماء في إعرابها: (التوابع خمسة: التوكيد والنعت وعطف البيان والبدل والعطف بالحروف، وهذه الخمسة، أربعة تتبع بغير متوسط، والخامس وهو العطف لا يتبع إلا بتوسط حرف، فجميع هذه تجرى على الثاني ما جرى على الأول من الرفع والنصب والخفض)[10].

على الرّغم من أنّ هذا المصطلح مستعمل متداول عند النحاة، إلا أنه لا يكاد يوجد له تعريف يخصه عندهم، ومن خلال تتبع هذا المصطلح في كتبهم، نستطيع أن نعرف المطابقة بأنها: مجموعة من العناصر اللغوية التي تؤدي وظائف متماثلة أو متشابهة، أو تدل على معان نحوية، كالإعراب من رفع ونصب وجر، وكالعدد من إفراد وتثنية وجمع، وكالتعريف والتنكير، وكالجنس من تذكير وتأنيثه وكالشخص من تكلم وخطاب وغيبة.

ثانيا: مجال المطابقة:

تأتى المطابقة في: "الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف مثلا إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية، فإن علاقتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة، وأما الخوالف* فلا مطابقة فيها إلّا ما يلحق "نعم" من تاء التأنيث،[11] وتكون المطابقة فيما يأتي:

أ) العلامة الإعرابية : فالعلامة الإعرابية تكون للأسماء والصفات وللفعل المضارع، فيتطابق بها الاسمان والاسم والصفة والمضارعان المتعاطفان.

ب) **الشخص "التكلم والخطاب والغيبة":** وأما الشخص فإنه تتمايز الضمائر بحسبه بين التكلم والخطاب والغيبة، ومن ثَمَّ تتضح المقابلات بحسبه في إسناد الأفعال، وإذا كان الفعل مسندًا إلى الاسم الظاهر فهذا الاسم في قوة ضمير الغائب، أما إذا كان الفعل نواة جملة خبرية مبتدؤها ضمير، فإن الفعل لا بُدَّ أن يطابق من حيث الشخص ما تقدمه من ضمير[12].

ج) العدد "الإفراد والتثنية والجمع":

وأما العدد فإنه يميز بين الاسم والاسم، وبين الصفة والصفة، وبين الضمير والضمير -سواء أكان الضمير للشخص أو للإشارة أو الموصول. ومن هنا يتطابق الاسم والاسم، والصفة والصفة، والاسم والصفة، والضمير المبتدأ، وإسناد الفعل الذي في جملة خبره من حيث الإفراد والتثنية والجمع، ثم ما يعود على كل ذلك من الضمائر يكون مطابقًا له في العدد[13].

د) النوع "التذكير والتأنيث":

وأما النوع فإنه يكون أساسًا للأسماء والصفات والضمائر "بأنواعها"، وتتطابق الأفعال مع هذه الأقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائرها العائدة إليها، كما تتطابق هذ الأقسام في ذلك في مواضع التطابق.

هـ) التعيين "التعريف والتنكير":

وأما التعريف والتنكير فلا يكونان إلا للأسماء، فإذا لحقت "أل" بالصفة كانت "أل" موصولة، والصفة الصريحة صلتها، وتكون "أل" في هذه الحالة من قبيل الضمائر الموصولة لا أداة للتعريف، ومع ذلك تتطابق بها الأسماء مع الصفات. وأما غير ذلك من أقسام الكلم فلا يقبل "أل".

ولا شكَّ أن المطابقة في أية واحدة من هذه المجالات الخمسة تقوي الصلة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى

وتكون قرينة لفظية على الباب الذي يقع فيه ويعبّر عنه كل منهما. فالمطابقة تتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها، وبدونها تتفكك العرى وتصبح الكلمات المتراصّة منعزلًا بعضها عن بعض، ويصبح المعنى عسير المنال.

ثالثا: أنواع المطابقة

أدرك النحاة وجود ضروب من التطابق في التركيب اللغوي بدونها يضطرب معناه، فيفقد بهذا الاضطراب خصيصة من أهم من خصائصه، ودراسات النحاة عن التطابق لا توجد منفصلة مستقلة عن دراساتهم لغيره من خصائص الجملة العربية، وإنما هي مبثوثة هنا وهناك بين جزيئات الأحكام النحوية وما يتصل بها من قواعد وتعليلات.

وفي تراثنا النحوي فيما يتصل بالظاهرة عدد من الاتجاهات الأساسية التي يمكن إذا جمعنا بينها أن تكون بمثابة العناصر الجوهرية، بحيث تشكل في مجموعها التصور للظاهرة اللغوية ومن أبرز هذه العناصر: - التطابق بين اللفظ المفرد ومعناه.

- التطابق بين التركيب والموقف اللغوي.
- التطابق بين أجزاء التركيب.[14]

1- التطابق بين اللفظ المفرد والمعنى

لعلّ أول من نبّه على هذا النوع من التطابق الخليل بن أحمد في بعض ما يؤثر عنه، ومن ذلك قوله: «كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صرّ، وتوهمّوا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صَرْصَرَ».[15]

وقد تناوله كذلك سيبويه في بعض أبواب كتابه، ومن ذلك قوله في "باب بناء الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها بك ومصادرها؛ يقول: "ومن المصادر التي جاءت على مقال واحد حين تقاربت المعاني. قولك: النزوان والنّقزان والقفزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله: العسلان، الرّتكان؛ وقد جاء على فُعَال نحو: النزاء والقماص...."[16]

والتطابق بين اللفظ المفرد والمعنى يتم بوساطة وسائل مختلفة منها: اختيار الأصوات الملائمة للأحداث أو للمعاني، أو ترتيب الحركات في الصيغة، أو تضعيف أحد الحروف الأصلية فيها، أو زيادة بعض الحروف في وسطها، أو بوساطة التضعيف والزيادة معا، أو بإدخالها لواصق عليها، كما يكون أيضا بوساطة تغيير الصيغة إلى وزن مغاير[17].

2- التطابق بين التركيب والموقف اللغوي

درس النحاة واللغويون العرب الوسائل التي لجأت إليها اللغة لتطابق بين التركيب والموقف اللغوي، وقد استعانوا في دراستهم ببعض ما خلفه الأدباء من نصوص، محاولين تفسيرها بما يكشف عن عناصر الملائمة منها وبين الموقف الذي قيلت فيه. وقد تنتج عن هذه الدراسات كثير من النتائج الهامة في البحث النحوي واللغوي والأدبي جميعا وكانت إحدى هذه النتائج تحديد وسائل التطابق بين التركيب والمعنى.

ووسائل التطابق التي كشفت عنها هذه الدراسات ثلاث[18]:

أ) الترتيب بين أجزاء التركيب:

الترتيب وسيلة من الوسائل التي تلجأ إليها اللغة لتحقيق التطابق بين التركيب والمقصود به، سواء كان التركيب خبرا أو إنشاء، مثبتا أو غير مثبت. فالجملة الخبرية إما أن يتصدرها اسم أو يتقدمها فعل، وليس التركيبان سواء في إفادة المعنى، بل لا يلجأ المتكلم إلى تأليف جملة اسمية أو فعلية إلا مراعاة لما يتطلبه الموقف اللغوي[19].

ب)حذف بعض أجزاء التركيب:

من الأساليب التي تلجأ إليها اللغة لتحقيق التطابق بين التركيب وما يقصد به حذف بعض صيغ التركيب نفسه، وقد تناول النحاة هذا الأسلوب بالدرس في أبواب شتى من أبواب النحو، ومن أهم هذه الأبواب نجد المفعول به وما يلحق به والإغراء والتحذير والمبتدأ.

ج)الاستعانة بالصيغ:

رأى النحاة أنّ ثمة سبيلا ثالثا تسلكه اللغة لإيجاد نوع من التطابق بين التركيب والمعنى المقصود، تلجأ فيه إلى الاستعانة ببعض الصيغ لتحديد مضمون الجملة، بحيث تتفق مع ما يقصد بها من معان.

وتزاد بعض الصيغ في التراكيب لإفادة معاني: الاستفهام، والنفي، والتوكيد، والحصر، والقسم، والعطف، والاستدراك، والتشبيه، والتمني، والتوقع، والتنبيه والنداء، والتصديق والإيجاب، والاستثناء، والحث والتحضيض.

وبعض الصيغ التي تزاد لتحقيق أحد هذه المعاني قد تؤدي إلى الوقت نفسه دورا وظيفيا تركيبا، وبعضها قد يقتصر على أدائه معناه الدلالي فحسب، ومن ثمّ فإنّ من الممكن أن نجد الصيغ التي تفيد النفي أو الاستفهام، مثلا: تفيد في الوقت نفسه الجزم أو النصب أو الرفع[20].

3- **التطابق بين أجزاء الجملة:**

صور التطابق الممكنة بين أجزاء التركيب أربع، تمتد فروعها إلى عشرة، إذ التطابق يأخذ واحدا من كلّ من: - الموقف الإعرابي. - الإفراد والتعدد.

- التعريف والتنكير. - التذكير والتأنيث.

- **المطلب الثاني: التعريف بالجملة الفعلية ومكوناتها**

يعبر بالجملة الفعلية عن الحدث مسندا إلى زمن، منظورا إليه باعتبار مدة استغراقه منسوبا إلى فاعل موجها إلى مفعول، إذا لزم الأمر... فموضوع الجملة الفعلية أن تأمر بحدث أو أن تقرر حدثا أو أن تتخيل حدثا[21]. فما هي الجملة الفعلية؟، وما عناصرها؟، وما علة توجيه الخطاب بها؟.

- **أولا: التعريف بالجملة الفعلية**

الملاحظ من المصطلح (الجملة الفعلية) وصف الجملة بالفعلية ونسبتها إليه، والجملة الفعلية في مقابل الجملة الإسمية وقسيمتها في باب الجمل.

1- الجملة الفعلية في اصطلاح النحاة

الجملة الفعلية "ما كان الجزء الأول منها فعلاً؛ نحو: زيد ذهب أبوه، وعمرو أن تكرمه يكرمك، وما أشبه ذلك"[22]. فحدُّ الجملةِ الفعلية: "ما صُدِّرتْ بفعلٍ"[23].

والفارق في الأداء بين الجملة الفعلية والاسمية: أن الفعلية يتقدم فيها الفعل فيسند إلى فاعله، والجمل الاسمية يتقدم فيها الفاعل وهو لا يزال مسنداً إليه ليكون مبتدأ.

ونسبت الجملة إلى الفعل(جملة فعلية) لأن الفعل أول عناصرها، والعامل فيما بعده من أجزائها، ولا يمكن تخلفه أو الاستغناء عنه.

2- عناصر الجملة الفعلية

فالجملة الفعلية لها ركنان أساسيان هما الفعل والفاعل؛ فالفعل نواة الجملة الفعلية[24]. والفاعل عمدة فيها، لابد من وجوده، فإن لم يكن موجوداً أنيب عنه غيره[25].

والجملة الفعلية تتكون في صورتها المختصرة من "فعل وفاعل" أو من "فعل ونائب فاعل" ثم يليهما ما يطلق عليه في النحو اسم "الفضلات"[26]

وما لا يذكر من هذه العناصر في الجملة يحلُّ تاليه محلّه إذا وُجِد وهذه العناصر هي:

1 - الفعل وما يقترن به من أدوات.

2 - الفاعل وما يتصل به كالمضاف إليه وصلة الموصول والنعت والتوكيد والبدل والتمييز والعطف.

3 - المفعول به الأول وما هو بمثابته من جار ومجرور وما يتصل به، وقد يحتل هذه المرتبة المفعول معه، مثل: سرت والقمر.

4 - المفعول به الثاني وما هو بمثابته.

5 - المفعول المطلق وما يتصل به.

6 - المفعول فيه وهو ظرفا الزمان والمكان وما يتصل بهما.

7 - الحال وما يتصل به.

8 - المفعول لأجله وما يتصل به[27].

- **المبحث الثاني: التطابق في العدد بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية وعدمه**
- **المطلب الأول: ما عليه عآمة النصوص اللغوية (عدم التطابق)**

من المعروف في العربية الفصحى: أن الفعل يجب إفراده دائما، حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعا، أي أنه لا تتصل به علامة تثنية ولا علامة جمع، للدلالة على تثنية الفاعل أو جمعه، فيقال مثلا: "قام الرجل" و"قام الرجلان" و"قام الرجال" بإفراد الفعل: "قام" دائما؛ إذ لا يقال في الفصحى مثلا: "قاما الرجلان" ولا "قاموا الرجال".

وعلى هذا النحو، جاءت جمهرة الجمل الفعلية في القرآن الكريم، يقول الله تعالى مثلا: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} [آل عمران: 3/ 146] ولم يقل قاتلوا معه. كما قال جل شأنه: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا} [آل عمران: 3/ 122] ولم يقل: همَّتا طائفتان.

- **المطلب الثاني: المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد**

ذهب جمهور النحاة إلى أنه إذا أسند الفعل إلى الفاعل أو نائبه وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع، فيكون كحالة إذا أسند إلى مفرد وذلك نحو: (قام الزيدان، وقام الزيدون، وقامت الهندات)، ولا يقال: (قاما أخواك، ولا قاموا إخوتك، ولا قامت نسوتك)، بل يقال في الجميع: (قام) بالإفراد وهذا هو الأكثر[28].

تلك هي القاعدة المطردة في العربية الفصحى، شعرا ونثرا. أما قبيلة طيئ القديمة، فقد روي لنا عنها أنها كانت تلحق الفعل علامة تثنية للفاعل المثنى، وعلامة جمع للفاعل المجموع. وقد حكيت لنا هذا اللغة كذلك، عن قبيلة "بلحارث بن كعب" وقبيلة "أزد شنوءة"، وهما من القبائل اليمنية، التي لا تمت إلى أصل قبيلة طيئ بصلة[29].

وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة العرب، بلغة: "أكلوني البراغيث". وقد عرفت عندهم بهذا الاسم؛ لأن سيبويه هو أول من مثل لها في كتابه، واختار هذا المثال؛ فقال: "في قول من قال: أكلوني البراغيث"، كما قال في موضع آخر: "ومن قال: أكلوني البراغيث، قلت على حد قوله: مررت برجل أعورين أبواه"، وإن كان قد ضرب لهذا الظاهرة أمثلة أخرى في ك تابه، فقال: "واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجميع علامة، كما جعلوا للمؤنث علامة، وهي قليلة"[30].

جاء في شرح ابن عقيل: « ولا تقول: (قاما الزيدان) و(قامتا الهندان) و(قاموا الزيدون) و(قمن الهندات)، إلا على هذه اللغة، وقد سماها النحاة: (لغة أكلوني البراغيث)، وقد سماها ابن مالك: (لغة يتعاقبون فيكم ملائكة)».[31]

ومن النحاة من اختلف بشأن هذه اللغة، فجاء في الكتاب: "واعلم أنّ من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة)، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث"[32].

غير أننا نجد من النحاة من كان آخذا بهذه اللغة، ويفهم من كلامه أنه يردها، فسيبويه مثلا ينعتها بالقليلة ويتأول قوله تعالى: ﴿... وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ [الأنبياء:3] على البديلة[33].

ويقول ابن يعيش: "وهي لغة فاشية لبعض العرب، كثيرة في كلامهم وأشعارهم"[34]

ولعلّ اهتمام النحاة بهذه اللغة سببه استعمالها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وفي الشعر العربي القديم.

أ) من شواهدها في القرآن الكريم:

اختلف النحاة بشأن مجيء بعض آيات الذكر الحكيم على هذه اللغة، كما اختلفت تأويلاتهم، فمنهم من أجاز ومنهم من منع ذلك، ومما جاء على هذه اللغة.

1- قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء:3]، ولم يقل (وأسر النجوى)

أجاز الفراء والأخفش والعكبري والألوسي أن يكون (الَّذِينَ) فاعل (أَسَرُّوا)، و(الواو) في الفعل (أَسَرُّوا) علامة الجمع على لغة أكلوني البراغيث، فقال الفراء: "وإن شئت كانت رفعا كما يجوز: ذهبوا قومك"[35]. وقال الأخفش: «أو جاء هذا على لغة الذين يقولون: ضربوني قومُك»[36]، وجاء في روح المعاني: "والواو حرف دال على الجمعية كواو قائمون وتاء قامت، وهذا على لغة أكلوني البراغيث وهي لغة لأزد شنوءة"[37].

2- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:71] ولم يقل (ثم عمي وصمّ).

وأجاز الفراء هذا القول: فقال في هذه الآية: «فقد يكون رفع (كَثِيرٌ) من جهتين: أن تكر الفعل عليها، تريد: عمي وصمّ كثير منهم وإن شئت جعلت (عَمُوا وَصَمُّوا) فعلا للكثير... وأن شئت جعلت الكثير مصدرا، فقلت أيّ ذلك كثير منهم، وهذا وجه ثالث، ولو نصبت على هذا المعنى، كان صوابا».[38]

وقد وافق الزمخشري الفراء فـ (كَثِيرٌ) إما بدل من الضمير، أو فاعل على لغة (أكلوني البراغيث)، أو خبر محذوف، والتقدير: أولئك كثير منهم[39].

وذهب أبو حيان إلى وجه رابع حيث يرى أن يكون (كَثِيرٌ) مبتدأ، والجملة قبله خبرا له[40].

3- قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء:23] فقد قرأ حمزة والكسائي (يبلغان)، بالألف طويلة بعد العين وكسر النون على التثنية على لغة أكلوني البراغيث فـ (أَحَدُهُمَا) فاعل والألف في (يَبْلُغَانَّ) علامة التثنية[41].

ب- من شواهدها في الحديث النبوي الشريف:

تكلم النبي، صلى الله عليه وسلم بهذه اللغة، ومما جاء على هذه اللغة في الحديث النبوي الشريف. ما ورد في صحيح البخاري، أنّ الرسول– صلى الله عليه وسلم- قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[42].

وقال السهيلي: ألفيت، في كتب الحديث المروية الصحاح، ما يدل على كثرة هذه اللغة وجودتها. وذكر آثاراً منها: يتعاقبون فيكم ملائكة[43].

فالفاعل هنا هو (ملائكة)، و(الواو) في الفعل (يتعاقبون) علامة الجمع على لغة أكلوني البراغيث.

ج) من شواهدها في الشعر العربي القديم:

ومما جاء في الشعر العربي القديم على هذه اللغة:

قول الفرزدق: ولكن ديافي* أبوه وأمه بحوران يعْصِرْن السليط أُقَارِبَه[44]

فالنون في يعصرن حرف يدل على التأنيث والجمع[45].

وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة"[46]

وقول عبد الله بن قيس الرقيات: تولى قتال المارقين بنفْسه وقد أسْلماهُ مُبعد وحَمِيمَ[47]

الشاهد فيه قوله: "وقد أسلماه مبعد وحميم " حيث وصل بالفعل ألف التثنية مع أن الفاعل اسم ظاهر.

وكان القياس على الفصحى أن يقول: وقد أسلمه مبعد وحميم"[48].

وقول أحبة بن الجلاح: يلومونني في اشتراء النخيـ ل أهلي فكلّهم ألوم[49]

الشاهد فيه قوله: "(يلومونني.أهلي) حيث وصل واو الجماعة بالفعل، مع أن الفاعل اسم ظاهر مذكور بعد الفعل، وهذه لغة طيئ، وقيل: لغة أزدشنوءة"[50].

إنّ الفعل في هذه الأبيات طابق فاعله في العدد، فالفعل و(أسلماه) ألحقت به ألف الاثنين لأنّ فاعله (مبعد وحميم) مثنى، وأما (تلومونني) فقد ألحقت به واو الجماعة لأنّ فاعله (أهلي) جمع.

فهذه الحروف إذن (الألف، والواو والنون) ألحقت بالفعل لتدل على تثنية الفاعل أو جمعه، فكأنهم أرادوا تثنية الفاعل وجمعه بدليلين كما أجمعوا في الدلالة على التأنيث بدليلين في قولهم: (قامت هند) فدلوا على تأنيث الفاعل بصيغة الاسم والتاء التي اتصلت بالفعل.[51]

ويبدو أن هذه الظاهرة، كانت شائعة في عصر الحريري "المتوفى سنة 516هـ" الذي عدها من اللحن4، ورد عليه الشهاب الخفاجي، فقال: "وليس الأمر كما ذكره، فإن هذه لغة قوم من العرب، يجعلون الألف والواو حرفي علامة للتثنية والجمع، والاسم الظاهر فاعلا. وتعرف بين النحاة بلغة: أكلوني البراغيث؛ لأنه مثالها الذي اشتهرت به، وهي لغة طيئ، كما قاله الزمخشري. وقد وقع منها في الآيات، والأحاديث، وكلام الفصحاء ما لا يحصى"5.

وقد بقيت هذه الظاهرة، شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة، كقولنا مثلا: "ظلموني الناس" و"لاموني العوازل" و"زارونا الجيران" و"تنوصاحي لحد ما رجعوا العيال من بره". وهذا كله امتداد للأصل السامي واللهجات القديمة[52].

ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الحديث اليومي عند طيئ. فالواقع أن هذه الظاهرة وجدت في بعض اللهجات القديمة، وفي أبيات من الشعر الجاهلي والإسلامي، وهي مطردة في اللهجات العربية الحديثة[53].

وخلاصة القول:

إنّ هذه اللغة لغة صحيحة، جاء عليها القرآن الكريم في بعض المواضع، وكذلك وردت في القراءات القرآنية، فلا داعي لتأولها وحملها على وجوه كثيرة. وواضح أنّ هذا التأول والحمل كانت الغاية منه إخراج هذه اللغة عن القرآن الكريم.

لمْ يغفل النحاةُ مظهر المطابقة في الجملة، وإنْ لم يُفردوا لها باباً خاصاً به، وإنما تحدثوا عنها في أبواب متفرقة؛ كلما كان ذكرها مناسباً، وذلك واضحٌ في كتبهم.

كما نستطيعُ القولَ أن لغة (أكلوني البراغيثُ) ورد بها القرآن الكريم، ولا مُسوّغ لردها في بعض الآيات القرآنية الكريمة؛ لأنَّها جارية على مظهر المطابقة. "فظاهرة التطابق عملية تكاد تكون عملية لا شعورية فطرية ساذجة، تتم في إطار المنطق والحس اللغويين، أما ظاهرة عدم التطابق، فهي عملية تبدو فيها الصنعة، ويظهر فيها عمل العقل"[(54)].

الهوامش:

([1]) تمام حسان عمر: اللغة العربية معناها ومبناها عالم الكتب، ط5، 1427هـ-2006م: 205.

[(2)] كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ب. س: 301.

[(3)] معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م: 3/ 440-445.

[(4)] مختار الصحاح: زيد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية بيروت- صيدا: ط5، 1420هـ/1999م: 188.

[5] لسان العرب، ابن منظور، مادة (طبق)، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ: 10/209-210

[6] الكتاب: سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م: 2/302.

[7] نفسه: 2/127.

[8] نفسه: 2/128.

[9] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل بهاء الدين عبد الله ، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1394هـ/1974م: 1/191.

[10] الأصول في النحو، محمد بن سهل بن السراج، تح: ع. الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، 245 / 23.

* الخوالف كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية، أي: في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه.

1- خالفة الإخالة ويسميها النحاة: "اسم الفعل".

2- خالفة الصوت ويسميها النحاة "اسم الصوت"

3- خالفة التعجب ويسميها النحاة صيغة التعجب.

4- خالفة المدح أو الذم، ويسميها النحاة: "فعلي المدح والذم". ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، 113-115.

[11] نفسه: 111.

[12] نفسه: 112.

[13] نفسه: 112

[14] الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، 127.

[15] الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط4، تح: محمد علي النجار، 2/ 152.

[16] الكتاب، سيبويه، 2/ 214.

[17]- الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، 136.

[18] نفسه: 145.

[19] نفسه: 146.

[20] نفسه: 149-161-162.

[21] اللغة: جوزيف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950 م: 163.

[22] أسرار العربية: الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ- 1999م ، 76.

[23] الحدود في علم النحو: البجائي أحمد بن محمد بن محمد الأُبَّذيّ، شهاب الدين الأندلسي، تح: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ع:112 - السنة 33 - 1421هـ/2001م: 475.

[24] اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، 210.

[25] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام، تح: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)، ط1، 1423هـ/2004م: 215.

[26] النحو المصفى: محمد عيد، مكتبة الشباب، 345.

[27] البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م، 352/1.

[28] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 79/2.

[29] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م، 299.

[30] نفسه: 230.

[31] نفسه: 473/1.

[32] الكتاب: سيبويه، 40/2.

[33] ينظر: نفسه، 40/2.

[34] شرح المفصل: 87/3.

[35] معاني القرآن: الفراء، 317/1.

[36] معاني القرآن: الأخفش، 632/2.

[37] روح المعاني: الألوسي، 13/17.

[38] ينظر: معاني القرآن، الفراء، 316/1.

[39] ينظر: الكشاف، 461/1.

[40] ينظر: البحر المحيط، 328/4.

[41] النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، المكتبة العصرية صيدا- بيروت- لبنان، ط1، 1427هـ/2006م، 586.

[42] صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م، 203/1.

[43] الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، تح: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1413 هـ - 1992 م، 170.

* (دِيافي) نسبة إلى (دياف) وهو موضعٌ في البَحْرِ، وقيل: قَرْيةٌ بالشّأمِ. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ/2000 م، 404/9.

[44] شرح ديوان الفرزدق: 82/1.

[45] الكتاب: سيبويه، 150/1.

[46] نفسه: 2/ 40.

[47] شرح ابن عقيل: ابن عقيل، 81/2.

[48] نفسه: 82/2.

[49] عزاه رمضان عبد التواب في كتابه بحوث ومقالات في اللغة، إلى أمية بن أبي الصلت، ينظر: بحوث ومقالات في اللغة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1415هـ/1995م، 71.

(50) شرح ابن عقيل: ابن عقيل، 82/2.

(51) الكتاب: سيبويه، 40/2.

(52) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، 306.

(53) علم اللغة العربية: محمود فهمى حجازى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 233.

(54) دراسات في اللغة والنحو العربي: حسين عون، 54.